الانفعال والثقافة

Emotion and Culture

محمد عودة الريماوي

(من كتاب علم النفس العام)

الثقافة والانفعال

لثلاثة عقود خلت من الآن انصبت الابحاث والتنظير على العلاقة بين الثقافة والانفعال، وتركزت بشكل مباشر على قضية مفادها ما إذا كانت الانفعالات عالمية أم ثقافية. وقاد الجهود الأولى في علم النفس كل من إكمان Ekman وإيزاردIzard بدءاً من عام (1960) حيث ركزا على الدراسات عبر ثقافية للتعبيرات الوجهية وذلك لاختبار فرضية دارون Darwin حول عالمية التعبيرات الانفعالية. وخلصا الى أن الانسان إذا ما تعرض الى انفعالات قوية ولم يحاول أخفاء هذه الانفعالات لسبب أو لآخر فإن التعبير عنها هو هو بغض النظر عن العمر، والعرق، والثقافة، والجنس، ومستوى التعليم. إلا أن هذا الاستنتاج أثار جدلاً طويلاً بين الباحثين والمهتمين ووجهت له الانتقادات القوية خاصة فيما يتصل بمدى صدق هذه النتائج وامكانية تعميمها.

عالمية الانفعالات مقابل النسبية الثقافية للانفعالات

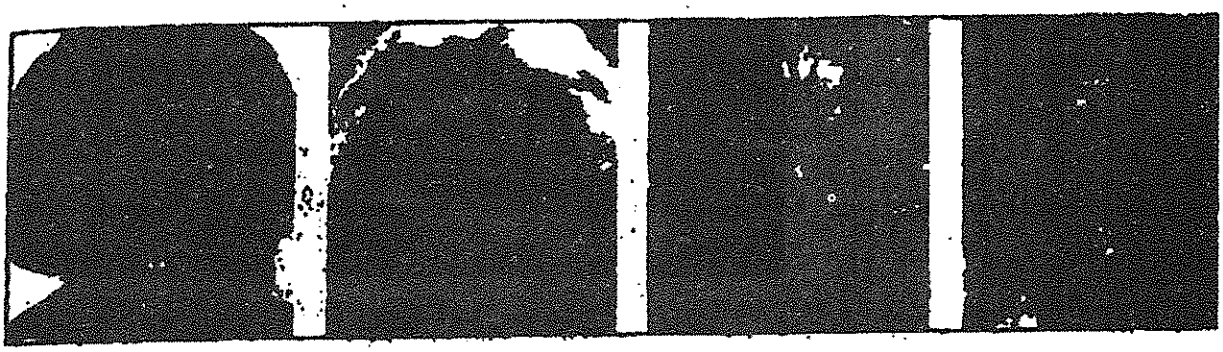

وقد تصدى الكثيرون لفرضية عالمية الثقافة وخاصة الانثروبولوجيون الأوائل (ميد Mead، باتسون Bateson ... الخ) الذين نادوا بأن التعبيرات الانفعالية تتغير تبعاً للثقافة، وأن هذه التعبيرات تتشكل بفعل الثقافة. ليس هذا فحسب، فقد فرض التنوع الثقافي مفاهيم متعدد للانفعال وللمعرفة الانفعالية Emotional Knowledge. واختلف كل من علماء النفس وعلم الانثروبولوجيا الثقافية حول المعاني الثقافية للانفعالات. فعلماء النفس الميالون إلى عالمية الانفعالات انكروا امكانية تطبيق المعاني الثقافية على الانفعالات، واعتبروا أن هذه المعاني يمكن ان تؤثر في تفسيرنا ومعتقداتنا ذات العلاقة بالانفعالات في حين ان الانثروبولوجين طوروا منحنى نظرياً يدافع عن أهمية المعنى الثقافي في فيما يتصل بالخبرة الانفعالية او التعبير عن الانفعالات. (يمكن الرجوع الى كتاب Culture and Emotion الفصل الأول للاطلاع على الدراسات العديدة التي دارت حول المقارنة بين التعبيرات الانفعالية في الثقافات المختلفة) (Manstead & Fisher, 2002).

ومن القضايا البحثية الأخرى في مجال الثقافة والانفعال التمثل اللغوي للانفعال والحوادث الانفعالية. أجريت دراستان حول هذه القضية حيث توصلتا إلى أن هذه التمثيلات تتأثر بفعل التنظيم الثقافي للعلاقة بين الشخص والآخرين. ففي الثقافة التي تمجد العلاقة بين الفرد والآخر والاعتمادية المتبادلة بينهما فإن المفردات الدالة على الانفعال هي مفردات

TULIP LAIBRARY

لغوية عيانية Concrete في حين أن الثقافة التي تمجد الفرد فإن المفردات اللغوية تكون مفردات مجردة Abstract. كما ان المفردات في الثقافة الأولى تعبر عن العلاقة الاجتماعية، في حين أنها في الثانية تعبر عن علاقة الفرد بنفسه Individuality. من الأمثلة على النوع الأول (فادي يلكم عصام)، (أحمد ضرب عثمان)، أو (أحمد عدواني) اما النوع الثاني يظهر في القول: (أحمد يكره عثمان)، (فاطمة تحب عائشة) في الجمل الأولى يرد وصفاً للحدث الضرب، اللكم، وفي الثانية تتحدث عن وصف الحالة الانفعالية كره، حب.

وفي نفس الموضوع درست الكلمة والنبرة (Tone) التي تُقدِّمُ بها بهدف فهم الكلام الانفعالي، ولمعرفة دور الثقافة واللغة في تغليف الانفعال وتقديم نتائج معالجته في قالب اكثر دبلوماسية وأقل مواجهة ومباشرة. فكلمة "حسن" مثلاً او "بصيرخير" تقدم بنبرات تهماً للموقف، يفهم منها المحتوى الانفعالي في الموقف (Manstead & Fisher, 2002) .

البناء المعرفي للانفعالات 1- المفردات 2- التشابهات 3- الانفعال كعملية او حالة داخلية

كذلك درس المكون المعرفي للانفعالات دراسة مقارنة في الثقافتين الاندونيسية والهولندية لانفعاليّ الخجل والذنب. تم استقصاء المفردات المعبرة عن هذين الانفعالين، تلك المفردات تشير الى البناء المعرفي للانفعالات. وذلك بهدف معرفة الفروق والتشابهات بين المفردات الانفعالية وبالتالي بين الأبنية المعرفية في كلا الثقافتين. حيث تبين أن الثقافتين تحتويات على بناء معرفي مشترك، وأن انفعالي الخجل والذنب يقتربان من مفهوم "الخوف" ويميداً الى حد ما عن الغضب في الثقافة الاندونيسية اكثر منه في الثقافة الهولندية (Manstead & Fisher, 2002).

تغيير المزاج وعلاقته بمشيرات اخرى عبر الثقافات المختلفة

وفي دراسة اخرى عبر ثقافية بعنوان "البكاء وتغير المزاج" عام (2002) هدفت الى تحديد اثر البكاء في تغير المزاج عبر الثقافات المختلفة. الفرضية التي عملت عليها هذه الدراسة مفادها ان تحسن المزاج يرتبط إيجابياً بتكرار البكاء، كما يرتبط بالفردية – والجماعية، وكذلك بالجندرية. بينما ترتبط الذكورة – الأنوثة والخجل سلبياً بتحسن المزاج. جمعت البيانات من (30) بلداً فوجد أن الذكورة – الانوثة، الدخل القومي، الخجل، وتكرار البكاء متنبئات دالة على تغير المزاج وتفيد النتائج بأن الكيفية التي يشعر بها الفرد بعد البكاء يعتمد على مدى شيوع البكاء في الثقافة وعلى المشاعر العامة للخجل الناتج عن البكاء.

TULIP LAIBRARY

نشاط رقم (3)

1 - عرّف الثقافة

2 - ما رأيك في عالمية التعبيرات الانفعالية؟

3 - هات أمثلة تدلل على دور الثقافة في الانفعالات.

خامساً : الثقافة والتعبير الانفعالي

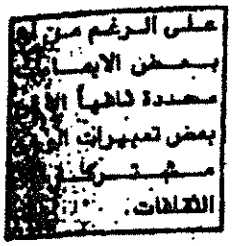

تتنوع معاني الايماءات Gestures بتنوع الثقافات. فقد لاحظ عالم النفس كلينبرنج Klinberg (1938) ان الصينيين يصفقون بايديهم للتعبير عن انزعاجهم او يأسهم. ويستخدمون اللفظ Ho - H0 للتعبير عن الغضب، ويخرجون السنتهم للتعبير عن الدهشة. وبالمثل فإن الأميركيين يرفعون الابهام Thumb up ويتلفظون بـ (A-Ok) كتعبير عن الاستحسان في حين أن مثل هذه الايماءات مستنكرة في ثقافات أخرى. ومن الايماءات الأخرى رفع السبابة والوسطى على شكل (V) دلالة على النصر، ورفع الاصبع الوسطى كدلالة على حظ سعيد Good Luck لدى شعب هاواي الامريكي.

ـ هل تختلف معاني تعبيرات الوجه تبعاً لاختلاف الثقافة؟ أجريت دراستان للإجابة على هذا السؤال إبان عقود السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، فلوحظ ان هناك تعبيرات تظهر على الوجوه وتحمل نفس المعنى رغم تعدد الثقافات. فالابتسام والغضب علامتان لا تختلفان باختلاف الثقافة. فليس هناك ثقافة يعبر فيها بالعبوس عن الفرح والسعادة..وعلى الرغم من بعض الفروق فإن الثقافات واللغات تتقاسم الكثير من المتشابهات في الطرق التي يصنفون بها الانفعالات مثل: الغضب، الخوف وهكذا، وبالمثل فإن المؤشرات الفسيولوجية للانفعال هي واحدة عبر الثقافات المختلفة (Myers, 2004) .

في مقارنة بين الثقافتين الاميركية والصينية كانت مجالات المقارنة في:

- أنا في مقابل نحن
- الحب والغضب
- الحقوق في مقابل الواجبات
- الخوف (رُوِي عن روزفلت Roosevelt قوله: " الشيء الوحيد الذي علينا ان نخاف منه هو الخوف نفسه".

كما وجد أيضاً أن تعبيرات وجوه الأطفال حتى لدى فاقدي البصر منهم هي عالمية، خاصة تلك المصاحبة للانفعالات الأساسية مثل الفرح، والحزن والخوف والغضب. وان جميع الأطفال

TULIP LAIBRARY

يبكون عندما يحبطون، ويحركون رؤوسهم في مواقف التحدي ويبتسمون عندما يكونون سعداء. إن عضلات الوجه تتحدث بلغة عالمية - كما ذهب الى ذلك دارون - مما يساعد البشر على البقاء.

وعلى الرغم من أن الثقافات تتقاسم لغة الوجوه للانفعالات الأساسية الا أنها تختلف في مقدار الانفعال المعبر عنه. ففي الثقافات الغربية التي تمجد الفردية (اوروبا الغربية، استراليا، نيوزيلانده والولايات المتحدة) فإن الانفعالات لديهم شديدة وتدوم طويلاً. فالناس يركزون على اهدافهم واتجاهاتهم ويعبرون عن انفسهم تبعاً لتلك الأهداف والاتجاهات. في الثقافات التي تمجد الروابط الاجتماعية والتعاون تزدهر فيها انفعالات التعاطف والاحترام والخجل (في آسيا اكثر مما هي في الثقافة الغربية). (Westen, 1996); (Myers, 2004)

تفكير ناقد
من يميل اكثر الى التعبير عن انفعاله الذكور أم الاناث؟ وكيف تصل إلى إجابة هذا السؤال؟

نافذة رقم (4)

يتعلم الناس ضبط طريقتهم في التعبير عن الكثير من الانفعالات، ويستخدمون انماطاً من التعبيرات الانفعالية. يعتقدون انها تتلاءم اكثر مع ثقافتهم ومع الثقافات الفرعية الكائنة داخل الثقافة الواحدة. وهذا ما يعرف باسم تشغيل القواعد (Display Rules) عندما عرض على يابانيين واميركيين فلم يعرض مناظر مؤلمة وجد ان تعبيرات وجوههم كانت واحدة عندما لم يعرفوا أن أحداً يلاحظهم حيث تصرفوا بالفطرة لا بالقواعد الثقافية (Westen, 1996) .

سادساً: الخصائص الثقافية للانفعالات

للانفعالات خصائص خمسة هي: النوعية، والشدة، والتعبير السلوكي، والكيفية التي تدار بها، وتنظيمها. هذه الخصائص متأصلة في الثقافة وتعكس انشطة ومفاهيم ثقافية وهذا ما نحاول توضيحه.

فمن حيث نوعية الانفعال الذي نشعر به في موقف ما يعتمد على فهمنا له (مفهوم، تمثل، مخطط). فالانفعال يعتمد على عدد من المفاهيم وليس على مفهوم واحد. من هذه المفاهيم: فهم المثير اللحظي (حدث، شيء، شخص، ميول) الذي يواجه الفرد، والسياق الاجتماعي الذي

TULIP LAIBRARY

يحدث فيه المثير، وحاجات وامكانيات الفرد. مثال ذلك إذا ما شتمك احدهم (فهمت الشتيمة) أمام الناس (السياق الاجتماعي) وكنت قادراً على الرد عليه (الامكانيات) فإنك تظهر انفعال الغضب. فالانفعال ليس حكماً منعزلاً ولكنه نظام من الأحكام الفرعية لمجمل طرائقنا في رؤيتنا للعالم.

ويؤكد علماء البنائية الاجتماعية ان هذه المفاهيم ثقافية من حيث أنها تُمَيَّز بالاتجاهات (المعتقدات، الأحكام، الرغبات). إنها تتحدد بأنظمة من المعتقدات الثقافية والقيم الأخلاقية لمجتمع ما.

مثال:

إن مفهوم "المسؤولية الشخصية" الذي يولد الغضب بين أفراد الثقافة الغربية هو فكرة ثقافية سائدة، يستخدمه الغربيون في تفسير فعل ما على أنه مؤذ لهم ويجعلهم يغضبون. فالغضب هنا يعكس موقفاً قضائياً فيه ينبغي على المسيء تلقي اللوم وفقاً لحقوق الضحية. الناس الفاقدون لمفهوم المسؤولية الشخصية واللذين يعزون الأحداث المؤلمة للحظ او للصدفة او للقَدَر فإنهم لا يلومون المسببين لما تسببوا فيه من أذى وبالتالي لا يتوقع منهم ان يطوروا انفعال الغضب.

أما من حيث شدة الانفعال فهي تعتمد كنوعية الانفعال على مفاهيم معرفية. فالمفاهيم الثقافية المختلفة بخصوص طبيعة أهمية الأحداث وطبيعة الانفعالات تولد مستويات مختلفة من الشدة الانفعالية لدى الجماعات البشرية المختلفة.

مثال:

إن قوة الحب تعتمد على المدى الذي يحققه المحبوب من المثاليات الثقافية والجمال الجسمي، والشخصية، والثروة، والنسب، والعرق (تنكح المرأة لمالها، ولجمالها ولحسبها، ولدينها). ويتكثف الحب ايضاً الى الدرجة التي تسمح بها القيم الثقافية بما يتناسب مع تقدير الذات والمكانة الاجتماعية. وبالمثل الغضب فإن شدته مرتبطة بالأحكام الثقافية حول مدى الايذاء الذي تسبب به المسيء.

أما السلوكات المعبرة عن الانفعال فإن نوعية الانفعال غالباً ما يعبر عنها طبقاً للقواعد المختلفة في الثقافات المختلفة. ديفيد همفيل Hemphill (1998) أن معظم أفراد الطبقة الوسطى الاميركية في القرن الثامن عشر رجالاً ونساء كانوا يميلون الى كبت انفعالاتهم مقارنة بالذين سبقوهم في امريكا. الرجال والنساء كانوا مطالبين بالتمكن من تعبيراتهم

TULIP LAIBRARY

الانفعالية بما في ذلك تعبيرات الوجوه والضحك واللغة. الرجال عليهم ان يكونوا اكثر كبتاً من النساء (www.humboldt 1.com) .

تفيد الدراسات الحديثة التي تناولت التعبيرات الانفعالية المعاصرة بين الرجال والنساء انها ضاربة جذورها في الأنشطة الاجتماعية. فالانفعالات التي تحرص المرأة على ابدائها (الدفء، السعادة، الخجل، الذنب، الخوف والعصبية). هذه الانفعالات ذات علاقة بمكانة المرأة المتدنية في المجتمع، وضعفها الجسماني في مواقف العدوان، وأدوارها التقليدية (الانجاب وتربية الأطفال). أما الرجال فهم حريصون على ابداء الانفعالات ذات العلاقة بمكانة الرجل وأدواره الاجتماعية، من مثل: الغضب والفخر، والأزدراء. فالعدوان الجسدي مقبول من الرجل في حالة الغضب ولكنه مستهجن من المرأة. والبكاء في حالة الحزن مقبول من المرأة ولكنه غير مقبول من الرجل، وهكذا.

أما من حيث الكيفية التي تُدار بها الانفعالات وتُحَلُّ فإنها تعتمد كسابقاتها من خصائص الانفعال على المفاهيم الثقافية عن الانفعالات. فشعب Illongot في الفلبين يتملكهم خوف شديد من امكانية الانفعال في تدمير العلاقات الاجتماعية وبالتالي فهم حريصون على الا يتحول الاحباط إلى عدوان، انهم يحرصون على تجنب الغضب. يشبههم في ذلك اسكيمو ال Utku .

واخيراً تنظيم الانفعالات فهو أيضاً يعتمد على المفاهيم والأنشطة الثقافية فاناس Ifaluk يعتبرون ان اليأس Dissappointment والفزع Fright قريبان من بعضهما البعض لأنهما يؤكدان حقيقة ان كلاً منهما يتضمن اشياء غير متوقعة واشياء سيئة وقعت. بينما في الثقافة الغربية لا يعتقدون أن اليأس والفزع متشابهان.

سابعاً: الوظائف الثقافية للانفعالات Cultural Function of Emotions

يؤكد كب Copp (1998) على ان الانفعالات تشكل دوافع للأنشطة الاجتماعية. فالنساء بعد الحرب العالمية الأولى شُجِّعن على الشعور بالحسد والتعبير عنه لمضاعفة الأنشطة الاقتصادية. اكثر من ذلك فإن الفروق الجندرية التي سادت اكثر من مئة وخمسين عاماً بدأت تتلاشى لتقارب الأدوار بين الرجال والنساء.

والفهرة تدفع الى سلوك التملك في كثير من المجتمعات، والحب يدفع بالناس للارتباط بنوع خاص من العلاقات الاجتماعية ليحققوا نوعية انفعالية خاصة. الخجل بين النساء البدويات كما يقول أبو لغد (1990) خاصة الخجل من أمور ذات علاقة بالممارسة غير

TULIP LAIBRARY

الشرعية للجنس وظيفته تخليد البطريركية والاقتصاد الابوي والعلاقات الأسرية (سيطرة الأب). فالزواج يتم لتحسين الوضع الاقتصادي للأب. ان الاحتشام الجنسي يمنع النساء غير المتزوجات من محاولات جذب الرجال. (خاصة إذا كن غير مقبولات من الأب) وهذا يسمح للأب املاء الزوجة المقبلة لابنه. وهكذا فإن انفعال الخجل يدعم انماطاً من العلاقات والانشطة الأسرية.

التكوين الثقافي للانفعالات Cultural Formation (Development) of Emotious

إن تطور الانفعالات لدى الأطفال الصغار وتشكيلها عبر عملية التنشئة الاجتماعية Socialization مظهر دال على أن الانفعالات ثقافية المنشأ على الأقل في المتعلم منها. ويورد علماء علم نفس النمو الكثير من الأدلة على أن الانفعالات يُنشّأ عليها الطفل. فالنموذج الذي تقدمه الأم او المربية للتعبيرات الانفعالية يتذوتها الأطفال الصغار. كما أن بعض الأنماط التعبيرية للانفعالات تتشابه ما بين الأم وطفلها مع بدايات مرحلة الطفولة المبكرة.

فبينما تتأدى عملية التنشئة الإجتماعية الأولية عبر التفاعلات بين الاشخاص - المربية والطفل - فإن محتواها متجذر في الأنشطة الثقافية ومفاهيمها أيضاً. في الثقافة الغربية يستجيب الآباء لانفعالات أطفالهم ويشجعونهم لابلاء مزيد من الانتباه لانفعالاتهم.

التنشئة الاجتماعية الانفعالية تعلم الأنشطة والمشاعر المناسبة والمتفقة مع القواعد لأطفالهم وذلك لتحضيرهم للمشاركة في الأنشطة عندما يكبرون، والاندماج في مجتمع الراشدين مستقبلاً. وحيث أن النساء ما زلن مسؤولات عن التربية أكثر من الرجال، تُنشّأ البنات اكثر من الأولاد ليكن اكثر انفعالاً لمعرفة المشاعر المشاركة للأفكار والتعبير عنها. ولتحقيق ذلك فإن على الآباء أن: (www. humboldt1.com)

1- يناقشوا الانفعالات مع البنات اكثر مما يفعلونه مع الأولاد.

2- يستخدموا انواع واسعة من الكلمات ذات العلاقة بالانفعال عندما يتكلمون مع البنات.

3- يوجهوا انفعالات متنوعة نحو بناتهم مقارنة بالأولاد.

4- يستخدموا انفعالات ايجابية اكثر من السلبية مع البنات

5- يلفتوا انتباه الأولاد من أعمار [(12 - 18) سنة الى السلوكات السلبية (العدوان الجسدي السرقة، التعبير اللفظي عن الانفعال السالب)

6- يساعدوا البنات اكثر

TULIP LAIBRARY

7- يسمحوا للأولاد بالاستقلالية.

8- يبتسموا للبنات اكثر.

9- يعاقبوا الأولاد اكثر على تعبيراتهم الانفعالية.

10- يستجيبوا بانفعالية اكثر مع البنات.

إضافة إلى كل ذلك فإن النماذج الانفعالية تقدم في الأدب، واللعب، والشعر والتلفزيون والسينما مما يسمح للأطفال بتذوت هذه النماذج.

ويرى فيجوتسكي أن عملية التنشئة الاجتماعية تولد انفعالات كظواهر اجتماعية / معرفية جديدة لدى أطفالهم. وسنتناول عملية التنشئة الاجتماعية بشيء من التفصيل في الفصل الخامس عشر.

ثامناً: الثقافة الانفعالية Emotional Culture

الثقافة الانفعالية هي احدى اهتمامات الدراسات عبر الثقافية. عرفها جوردون Gordon (1989) على أنها : "مجموعة من المعتقدات التي تؤمن بها الجماعة، والمفردات الانفعالية والمعايير المنظّمة للانفعالات.

تذهب وجهة النظر البنائية الاجتماعية Social Constructivism الى أن المجتمع يُعَدِّل عملية بناء المخزون الانفعالي. فتفهيم المواقف واختيار الاستجابات الانفعالية اللفظية منها وغير اللفظية هي في قسم كبير منها على الأقل نتاج التعلم الاجتماعي (Averil, 1982) المشار إليه في (www.fix. org) .

بتعليم الأطفال المعتقدات والمعايير ذات العلاقة بالانفعال، ينقل المجتمع ثقافته الانفعالية من جيل إلى آخر. إن هذا لا يعني ان هذا النقل الثقافي يتم فقط في مرحلة الطفولة. إنما يتم في مختلف الأعمار. فالأطفال يلاحظون الاستجابات الانفعالية لدى الآخرين في مواقف غير مألوفة، ويتعلمون منهم الاستجابات المناسبة لكل موقف.

إن الحدود بين الانفعالات ليست واضحة تماماً فالانفعالات الخاصة لا يمكن تعريفها بالمطلق. لذا يتعلم الأطفال تعريف الانفعالات باستخدام الأنماط Prototypes فالغضب على سبيل المثال ليس حدثاً خاصة او حالة اكثر من كونه تجمع حوادث ذات علاقة او حالات تتقاسم بعض العُزُوات المشتركة. ان تجمع الحالات الانفعالية تختلف بعض الشيء من ثقافة لأخرى. ولكن الانفعالات الأساسية يبدو انها عالمية. فالأنماط متشابه في كل الثقافات (Shaver, Wu & Sdwartz, 1992) المشار إليه في (www. fix. org) .

TULIP LAIBRARY

في عام (1984) حاول ليفي Levy أن يفترض ان فئات Categories مختلفة من الانفعالات ربما تُمنَح سيادة أكثر أو أقل في الثقافات المختلفة. هذه الفروق ربما تعزى الى الانفعالات التي واجهها الأطفال. فبعض الثقافات تحاول توجيه الأطفال بعيداً عن بعض الانفعالات، وبعضها الآخر تحاول توجيههم نحو بعض الانفعالات الأخرى. مثال ذلك ان بعض الثقافات تحرص على توجيه الأطفال بعيداً عن تلك الانفعالات السلبية التي تنمي التشاؤم لديهم. في حين تحرص على توجيههم نحو الانفعالات السلبية التي تشجع على التخلص من السلوك الضار.

لقد وجدت فروق في الأعمار التي يتعلم فيها الأطفال كلمات الانفعالات في مختلف الثقافات. فالأطفال الاميركيون يتعلمون تعريف الانفعالات الايجابية قبل ان يتعلموا تعريف الانفعالات السالبة، بينما الأطفال الصينيون، على العكس، يتعلمون تعريف الانفعالات السالبة أولاً. وربما يعكس هذا أهمية مختلف الانفعالات في الثقافتين.

لقد وجدت قرائن امبريقية تدعم مصطلح (Pan - Cultural Emotions) فالإشارات غير اللفظية للانفعالات الاساسية متشابهة عبر الثقافات. وتعبيرات الوجوه واحدة للانفعال الواحد في كل الثقافات، ومع ذلك فإن الأفراد في الثقافات المختلفة ربما يفسرون بعض الانفعالات باعتبارها أشد أو اقل شدة. ان انتاج تعبيرات الوجوه تأخذ نوعاً من الثبات عبر الثقافات مع ان شدة الانفعال تتغير. هذا التنوع في شدة الانفعال ربما ترد الى قواعد الثقافة. مثال ذلك ان مؤشر التواضع لدى اليابانيين يتطلب ان تبقى الذات مختفية لذا فإنهم يميلون الى ابداء تعبيرات انفعالية اقل في حضور الآخرين خاصة الغرباء منهم. أما إذا أمنَ اليابانيون عدم وجود الآخرين فإن تعبيرات وجوههم الانفعالية تشبه تعبيرات الوجوه في الثقافة الغربية.

إن أفراد الثقافة الواحدة يستجيبون بنفس الانفعالات الأساسية للمثيرات المشتركة، على الرغم من أن شدة الاستجابة تختلف عبر الثقافات. إن المثيرات الانفعالية تتنوع من حيث نسبة تكرار حدوثها فبعض هذه المثيرات تظهر في ثقافة بينما تختفي في أخرى.

تفيد الكثير من الابحاث أن الاستجابات الفسيولوجية للانفعال تظل ثابتة عبر الثقافات المختلفة. الا أن هذه النتيجة تتناقض مع نتائج دراسات أخرى تفيد بأن بعض الناس (ساموا) يبدون إثارة فسيولوجية أقل بينما يُبدِّي أناس (Ilingot) إثارة فسيولوجية اكبر مصاحبة للانفعال (www.fix. org)

TULIP LAIBRARY

نافذة (4)

الجندرية والسلوك غير اللفظي

الإناث اكثر حساسية للسلوك غير اللفظي، يبدين تعاطفاً اكثر وبشكل عام يظهرن أكثر العلامات الدالة على الانفعال. ومع ذلك فإن مقاييس الظواهر الفسيولوجية للتعاطف تشير الى ان الفروق بين الذكور والإناث صغيرة.

نافذة (5)

تفيد الدراسات عبر الثقافية للتعبيرات الانفعالية أن:

1- حركات اليدين لا تحمل نفس المعاني في الثقافات المختلفة.

2 - تعبيرات الوجه تبدو وكأنها عالمية.

3 - هناك فروق ثقافية في درجة التعبير الانفعالي.

4 السعادة لا ترتبط بمتغيرات: العمر أو الجندر، او مستوى التعليم، او الجاذبية أو الوالدية.

تاسعاً: الذكاء الانفعالي Emotional Intelligence

ما هو الذكاء؟

سؤال يختلف جوابه باختلاف الشخص المجيب. فإن كان المجيب أباً او أماً فإنه يتحدث عن ابنه وعيناه تلمعان فرحاً قائلاً ابني يتكلم او يسأل او يستكشف او يعمل اعمالاً لم نألفها لدى إخوانه عندما كانوا في مثل سنه، إن كان المجيب مربية في الروضة فتستدل على ذكاء أطفال الروضة بمدى ما يحفظون والسرعة التي يحفظون بها، وقدرتهم على الامساك السليم بالقلم، وتقليد رسم الحروف او الأشكال وقوة الشخصية. وان كان المجيب معلماً فغالباً ما يستدل على ذكاء تلميذه بنتائج تحصيله الدراسي فيربط بين الذكاء وهذا التحصيل. وفي جميع الأحوال فإن الذكاء بهذه المعاني أمر يدركه الحس الفطري. ولا شك ان لديك مثل هذه المعلومات وغيرها.

ولكن ماذا لو كان المَعْني بهذا السؤال عالم من علماء النفس. فلا شك ان لهؤلاء تعريفاتهم. وتعددت هذه التعريفات بتعدد النظريات النفسية التي يصدر عنها ذلك العالم فاكتظت كتب علم النفس بالتعريفات ولعل أشهرها وأحدثها هو: "القدرة على حل المشكلات والقدرة على التكيف والقدرة على التعلم من الخبرة" (Santrock, 2003).

TULIP LAIBRARY

الفصل الخامس

التنشئة الاجتماعية والثقافة

مقدمة

يعتبر موضوع التنشئة الاجتماعية والثقافة من الموضوعات ذات الأهمية القصوى في علمي الاجتماع والانسان. وكلاهما يحمل بين طياته فكرة التدخل الانساني لاحداث تأثير أو اضافة شئ أو اشياء لجوانب الحياة الطبيعية والاجتماعية. وعمليتا التنشئة الاجتماعية والثقافة متلازمتان، وتؤثر كل منهما في الاخرى. فالفرد يكتسب ثقافة مجتمعه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، ومؤسساتها المختلفة التي تتولى عملية نقل الانجازات الثقافية للاجيال المتعاقبة (الغزوي وآخرون، 1992) .

والتنشئة الاجتماعية علاقة تفاعلية، يتعلم الفرد بواسطتها المتطلبات الاجتماعية والثقافية التي تجعل منه عضواً فاعلاً في المجتمع، وتتضمن هذه العلاقات من الناحية النفسية، العادات والسمات والافكار والاتجاهات والقيم، ومن وجهة نظر السوسيولوجية، فإن التنشئة الاجتماعية تعني ان الفرد يتماثل مع الاشياء المسموح بها في الثقافة والتوقعات الثقافية ، التي يعبر عنها في الفاظ مثل الطرائق الشعبية والتقاليد والطرق الاخرى الخاصة بالحياة الاجتماعية (غيث و آخرون، 1988).

تعريف الثقافة

إن ثقافة أي مجتمع من المجتمعات هي ذلك الكل المتراكم من المعرفة والمعتقدات والقانون والعرف والعادات والقيم والفنون والاخلاق وكافة اساليب حفظ البقاء، التي اكتشفها وأوجدها أو استمارها الانسان لنفسه باعتباره عضواً في جماعة، تؤمن بالتراث وتحافظ عليه، وتضم الثقافة كافة المنجزات الفكرية والمادية. ففي الجانب الفكري تزود الثقافة الافراد بأساليب التعامل فيما بينهم والوسائل التي تمكنهم من حل مشكلاتهم وتلبية حاجاتهم المتعددة، كاساليب التنشئة وعادات الزواج والطعام. اما الجانب المادي للثقافة فيتم التعبير عنه من خلال الادوات التي يستعملها الانسان في المسكن وطرق العيش ووسائل النقل، ومن الجدير بالذكر ان الثقافة لا تؤثر في سلوك الفرد تأثيراً مباشراً، وانما توكل ذلك الى عدد من الجماعات

TULIP LAIBRARY

والمؤسسات التي ينتمي اليها الفرد (الغزوي وآخرون، 1992).

وقد تناول العلماء مفهوم الثقافة، كل من الزاوية التي تخدم المجال الذي يهتم به، ويوصله الى هدفه. فالمؤرخون يرون أن الثقافة تعني التراث لبني البشر، وعلماء الاجتماع يرون ان الثقافة تعني الجانب الفكري من التقدم البشري، في حين تعني الحضارة الجانب المادي من التقدم، كما يرى بعضهم ان الثقافة هي المدنية. اما علماء الانسان (الانثروبولوجيا)، فيرون ان الثقافة هي العنصر الاساسي، اوالصفة التي تميز بين المجتمعات البسيطة والمعقدة، وعلماء الانسان، هم الفئة التي اهتمت ولا تزال بالثقافة، وجعلتها محور دراستها، وافردت لها فرع من تخصصها هو الانثروبولوجيا الثقافية (ناصر، 1988).

يعد مفهوم الثقافة من اكثر المفاهيم تداولاً وشيوعاً ومن اكثرها غموضاً وتعقيداً (الليبي ، 1987) . وهو المفهوم الذي تساقطت امامه جهود الباحثين الذين حاولوا تعريفه وتحديد ملامحه ، ولقد وقع كلكهون (Kluclhon) على مئة وستين تعريفا للثقافة ، وذلك منذ خمسة وعشرين عاما .

ولفظة ثقافة قديمة في اللغة الفرنسية . اذ ظهرت في القرن الثاني عشر، للدلالة على فعل العبادة، وبدأت تشير الى حراثة الارض وزراعتها في القرن السادس عشر . ولكن هذه الكلمة بدأت تأخذ ابعاداً اجتماعية، وتكتسب مضامين ثقافية منذ بداية القرن الثامن عشر (زحلوق ووطفة ، 1995) .

ولعل من اقدم التعريفات للثقافة، واكثرها ذيوعاً حتى الآن لقيمته التاريخية، تعريف ادوارد تايلور الذي قدمه في اواخر القرن التاسع عشر في كتابه عن الثقافة البدائية والذي يرى فيه ان الثقافة هي : " كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات، والفنون والاخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الامكانيات أو العادات التي يكتسبها الانسان باعتباره عضواً في مجتمع " (Tylor , 1924).

ويبرز هذا التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس في جماعة، كالاخلاق والقانون والعرف التي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي، وتأخذ طابعاً الزامياً، الى جانب العنصر المادي للثقافة، علاوة على العلاقات بين الناس، وبين العناصر المكونة للثقافة (ثومبسون وآخرون، 1990).

TULIP LAIBRARY

ولعل من ابسط تعريفات الثقافة واكثرها وضوحاً تعريف احد علماء الاجتماع المحدثين روبرت بيرستد، الذي ظهر في اوائل الستينات، حيث يرى ان الثقافة هي : " الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه ، أو نقوم بعمله، أو نمتلكه كاعضاء في مجتمع. ويبرز هذا التعريف الصيغة التأليفية للثقافة لتصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوكي وبعضها مادي (Bierstedt , 1963).

ويعرف وليام اوجبرون " Ogburn " الثقافة بأنها ما يشتمل على الاشياء، والنظم الاجتماعية، والطريقة الاجتماعية التي يسير عليها الناس في حياتهم (غيث،1965، 65).

اما كلايد كلاكهون " Kluckhon " فيرى أن الثقافة هي جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ بما في ذلك المخططات الضمنية و الصريحة، وهي توجد في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة (بيلز، 1984).

اما رالف لنتون " Linton " فيرى ان الثقافة : " كل مركب يضم الاشغال اليدوية، والمعتقدات، والفنون، والمادات المكتسبة من الجماعة، وكل ما ينتجه الانسان من الاشياء، فكأن الثقافة حصيلة الاستجابات التكيفية للانسان، فهي اذن مجموعة متشابكة من الوسائل التي تتخذ شكل الانماط، وتختص بتلبية حاجات الحياة، وهي ايضاً شبكة من الاهداف التي تقصدها منجزات الافراد والمجتمع (ناصر، 1985).

وعلى وجه العموم، يلاحظ المتتبع لتعريف الثقافة، ان هناك اتجاهين رئيسين، يتنازعان هذا المسرح، احدهما ينظر للثقافة على انها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات الفعلية والرموز والايدلوجيات ، وما شابهها من المنتجات الفعلية (Almond & Verba , 1963). وثانيهما يرى ان الثقافة تشير الى النمط الكلي لحياة شعب ما، والعلاقات الشخصية بين افراده وكذلك توجهاتهم (Benedict , 1934).

ويدلا من التحيز نحو تعريف دون الآخر، يمكن الوصول الى درجة اوضح عن طريق التمييز بين المفاهيم الثلاثة التالية التي تمثل الثقافة :

1. التحيزات الثقافية : وتشير الى القيم والمعتقدات المشتركة.

TULIP LAIBRARY

2. العلاقات الاجتماعية : وتعرف بأنها انماط العلاقات الشخصية بين الافراد.
3. انماط واساليب الحياة : تشير الى التركيبة الحية من العلاقات الاجتماعية والتحيزات الثقافية .

وفي فهم انماط الحياة، لا تعطى اولوية للتحيزات الثقافية على العلاقات الاجتماعية، أو العكس،وانما كل منهما لا غنى له عن الآخر،فبين العلاقات والتحيزات علاقة تبادلية، وكل منها تتفاعل مع الأخرى وتقويها، لأن الالتزام بانماط معينة للعلاقات الاجتماعية، يولد طريقة متميزة في رؤية العالم، كما ان رؤية العالم بطريقة معينة تبرز نموذجاً منسجماً معها للعلاقات الاجتماعية (Rosenberg ,1968).

معنى الثقافة في التاريخ Culture in History

لا يمكننا ان نتصور تاريخاً بلا ثقافة، فالامة التي تفقد ثقافتها، تفقد تاريخها حتماً، والثقافة بما تتضمنه من فكرة دينية انتظمت الملحمة الأنسانية في جميع ادوارها منذ ولادة البشرية، لا يمكن ان تعد علماً يتعلمه الانسان، بل هي محيط يحيط بالانسان، واطار يتحرك داخله، انها الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وهي الوسط الذي تتشكل فيه كل جزئية من جزئياته تبعاً للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه. فالثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة، وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة، واذواق متناسبة، وعواطف متشابهة.

معنى الثقافة في التربية Culture in Education

الثقافة ليست علماً خاصاً لطبقة من الشعب دون أخرى، بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة، بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي، وخاصة اذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبره الناس الى الرقي والتمدن. وهي كذلك الحاجز الذي يحفظ بعضهم الآخر من السقوط من أعلى الجسر الى الهاوية.

وعليه فان الثقافة تشتمل في معناها العام على اطار حياة واحدة، وتهتم بكل طبقة من طبقات المجتمع بما يناسبها من وظيفة تقوم بها وما لها من الوظيفة من شروط خاصة، وعلى ذلك فان الثقافة تتدخل في شؤون الفرد، وفي بناء المجتمع، وتعالج مشكلة القيادة كما تعالج مشكلة الجماهير وفي هذا المركب الاجتماعي للثقافة ينحصر برنامجها التربوي (بن نبي، 1989).

TULIP LAIBRARY

الثقافة والحضارة Culture and Civilization

هناك تداخل كبير بين مصطلحي الثقافة والحضارة، واذا استعرضنا المعاني المختلفة لمصطلح الحضارة في العلوم الاجتماعية، فانه يمكن ترتيبها في مفهومين :

الأول : الحضارة هي شكل من اشكال الثقافة، وهنا يمكن التمييز بين ثلاثة اشكال ومعاني لمصطلح الحضارة :

1. استخدام كلمتي ثقافة وحضارة بمعنى واحد.
2. الحضارة هي الثقافة عندما تتعقد وتتميز بخصائص معينة.
3. الحضارة هي الثقافة اذا ما وصلت الى درجة واضحة من الرقي وامكن قياسها بمقاييس خاصة.

الثاني: يقوم على مقابلة الحضارة بالثقافة، فالثقافة تتكمش حين تصير معبرة عن مجرد تلك الافكار والابداعات الانسانية المتعلقة بالاساطير والدين والفن والادب، بينما الحضارة تدل على المبتدعات الانشائية المتعلقة بمجال العلوم المادية والتكنلوجيا (الغزوي، 1992).

وبشكل عام يمكن ان نحدد الفارق بين اللفظين على النحو التالي :

يعني مفهوم " ثقافة " المحصلة الكلية للتراث الانساني والاجتماعي سواء كان هذا التراث ماديا أو غير مادي، بينما يستخدم مفهوم " حضارة " ليشير الى نسق خاص منظم من الثقافة يتميز بالشمول والاستمرارية. فالحضارة اكثر شمولية وعمومية من الثقافة (غيث وآخرون، 1988) .

عناصر الثقافة Culture Elements

تقسم عناصر الثقافة الى قسمين رئيسين هما :

أ. العناصر المادية : وتشمل ما انتجه الانسان، ويمكن معرفته بالحواس.

ب. العناصر المعنوية : وتشمل انماط السلوك والمعايير الاجتماعية والقيم والاعراف والعادات (الغزوي، 1992).

وقد حدد كل من بيلز وهو يجر المعاني التي يستخدم بها مصطلح الثقافة بما يلي:

- للدلالة على اساليب الحياة المكتسبة والشائعة في وقت معين بين الجميع.

TULIP LAIBRARY

- للدلالة على اساليب الحياة الخاصة بمجموعة من المجتمعات التي يوجد بينها قدر من التفاعل.
- للدلالة على اساليب السلوك الخاصة بمجتمع معين.
- للدلالة على اساليب السلوك الخاصة بشريحة معينة داخل مجتمع كبير على درجة من التنظيم المعقد (بيلز ورفيقه، 1984).

وهناك من يرى ان الثقافة تتكون من ثلاثة مكونات رئيسة هي :

1 - المكونات المادية أو مايسمى القطاع المادي للثقافة.

2 - المكونات الاجتماعية أو مايسمى القطاع الاجتماعي للثقافة.

3 - المكونات الفكرية أو مايسمى القطاع الفكري للثقافة.

اما المكونات المادية للثقافة، فهي ما يستعمله الانسان في حياته اليومية، من ادوات واثاث ومسكن وملبس ومباني، ووسائل نقل وما الى ذلك. اما المكونات الاجتماعية للثقافة، وهي ما يطلق عليه اصطلاح البناء الاجتماعي، وهو هيكل المجموعة الاجتماعية من الناس، المستمرة في الوجود لفترة كافية من الزمن، وتنشأ بين افرادها علاقات وتفاعل، ونظم اجتماعية تصل عن طريقها مجموعة من السكان الى حالة التكامل والترابط اللازمة لتكوين المجتمع. أما المكونات الفكرية للثقافة ، فتشمل العناصر والمركبات والنظم الثقافية التي يغلب عليها طابع الافكار والعواطف، ويشتمل هذا القطاع على اللغة والفن والسحر والدين والعلم (ناصر، 1989).

أما رالف لنتون " Linton " فيذكر ان محتوى الثقافة يمكن تقسيمه الى ثلاثة اقسام هي :

1 - العموميات أو العالميات Universals

وهي المكونات الثقافية التي يشترك فيها جميع افراد المجتمع الناضجين، وتمثل العالميات المعتقدات والقيم التي يعبر عنها احيانا بمصطلح جوهر الثقافة، والعالميات أو العموميات تبين في اعمق مستويات التحليل ، انها تلك العناصر التي تميز فرداً من فئة معينة عن فرد من فئة اخرى ، وتتكون العموميات من الافكار والسلوكات التي توجد بصفة عامة عند كل اعضاء المجتمع الواحد البالغين، وتكون معايير

TULIP LAIBRARY

بواسطتها تقرر الجماعة المحلية ان كان الفرد يسلك سلوكاً طبيعياً ام لا. وقد سميت تلك العناصر بالماليات لانها موجودة في معظم ثقافات العالم (ناصر، 1989).

وتؤدي العموميات الى وجود اهتمامات مشتركة بين افراد المجتمع، تعمل على تماسك الجماعة ووحدة اهدافها، كما تعمل على اكسابها الشعور بالانتماء والتضامن والتعاون، وتجنبها الصراع والتمزق. ان اشتراك افراد المجتمع في هذه العموميات، وبصفة خاصة في الجوانب الفكرية والايديولوجية، هو في اكتساب الافراد لروح الجماعة والعمل على بقائها (بقليس ومرعي، 1984).

2 – الخصوصيات Specialities

وهي عناصر الثقافة التي تشترك فيها مجموعة معينة من افراد المجتمع، بمعنى انها العناصر التي تحكم سلوك افراد معينين دون غيرهم من المجتمع. فهي العادات والتقاليد والادوار المختلفة المتصلة بمناشط اجتماعية حددها المجتمع في تقسيمه للعمل بين الافراد. وتشمل هذه الفئات الخصوصيات المهنية، والطبقية، والعقائدية والعنصرية (لنتون، 1964).

3 - الايدال (البدائل) Alternatives

وهي العناصر الثقافية التي لا تنتمي الى العموميات، فلا تكون مشتركة بين جميع الافراد، ولا تنتمي الى الخصوصيات،فلا تكون مشتركة بين افراد مهنة واحدة أو طبقة واحدة، ولكنها عناصر تظهر حديثاً، وتجرب لاول مرة في ثقافة المجتمع، وبذلك يمكن الاختيار من بينها كما انها تتمثل في انواع الاستجابات غير المألوفة بالنسبة لمواقف متشابهة أو وسائل مختلفة لتحقيق اهداف متشابهة (سرحان، 1973) .

فالبدائل اذن هي تلك الانواع من الانشطة التي يكون فيها للافراد المعينين اختيارات معينة، فالعموميات على سبيل المثال، تتطلب ان يكون هناك في المجتمعات الشرقية زواجاً شرعياً بين الرجل والمرأة تحت رعاية القانون. اما كيفية الاحتفال بالزواج سواء في حفلة عامة أو خاصة فذلك متروك للفرد واختياراته أو حسب الطبقة التي ينتمي اليها (غيث وآخرون، 1988).

خصائص الثقافة Culture Characteristics

تعتبر الثقافة مميزاً هاماً للانسان عن بقية المخلوقات ، ولكنها تختلف من

TULIP LAIBRARY

شعب الى شعب ومن أمة الى امة، وهكذا فان لكل مجتمع بشري ثقافة خاصة به، ولكن تلك الثقافة ليست متطابقة، اذ انها تختلف حتى بين الافراد انفسهم، ولكن هناك خصائص عامة توجد في كل ثقافة من الثقافات (عاطف، 1975).

ومن خصائص الثقافة انها :

1. **انسانية :** فهي ظاهرة تخص الانسان فقط، لانها عبارة عن نتاج عقلي، والانسان يمتاز عن باقي المخلوقات بقدراته العقلية وامكاناته الابداعية، ولا يشارك الانسان بهذه الظاهرة اية مخلوقات اخرى.
2. **مكتسبة :** الثقافة لا يرثها الانسان، كما يرث لون عينيه أو بشرته بل يكتسبها بطرق مقصودة أو عرضية من طرق التعلم، والتفاعل مع الافراد الذين يعيش معهم، كأسرته واقرانه.
3. **تطورية :** أي ان الثقافة لا تبقى على حالها، بل انها تتطور نحو الاحسن والافضل، ولكن التطور لا يتم غالبا في جوهر الثقافة، بل في الممارسة والطريقة العملية، ويكون ذلك نتيجة لحاجات الانسان الذي يعيش في المجتمعات الحديثة.
4. **تكاملية :** أي انها تشبع الحاجات الانسانية، وتريح النفس البشرية لانها تجمع بين العناصر المادية والمعنوية، وتجمع بين المسائل المتصلة بحاجات الجسد، والمسائل المتصلة بالروح والفكر كالعقيدة الدينية أو النظرية السياسية (ناصر، 1988.).
5. **استمرارية :** فهي ظاهرة تتبع من وجود الجماعة، ورضاهم عنها، وتمسكهم بها، ونقلها الى الاجيال اللاحقة، فهي بذلك ليست ملكا لفرد معين، وانما هي ملك جماعي وتراث يرثه جميع افراد المجتمع الذي يمثل هذه الثقافة، ولا تفنى هذه الثقافة الا اذا انقضى المجتمع الذي يمارسها لأي سبب كان.
6. **واقعية :** اعتبر كثير من العلماء الظواهر الثقافية كالظواهر الاجتماعية، وبالتالي فانه ينبغي النظر اليها كاشياء واقعية مستقلة، لا تتعلق بوجود افراد معينين. وبناء عليه يمكن دراستها كأشياء مدركة موضوعياً، وتؤثر الظواهر الثقافية بعضها ببعض، كما تؤثر في السلوك الاجتماعي للافراد في المجتمع، وتخضع لقواعد اجتماعية.
7. **انتقالية :** أي انها قابلة للانتقال من جيل الكبار الى جيل الصغار بواسطة عملية

TULIP LAIBRARY

التثقيف أو التنشئة الاجتماعية، ولذا فهي قابلة للانتشار بين الامم والاجناس المختلفة، وذلك لسهولة اساليب الاتصال الحديثة في المجتمعات المتقدمة.

8. **تنبؤية :** بما ان الثقافة تحدد اسلوب الافراد وسلوكاتهم في المجتمع، فانه بالامكان التنبؤ بما يمكن ان يتصرف به فرد معين ينتمي الى ثقافة معينة، لان ثقافته تحتم عليه اسلوباً معينا تجاه كل مشكلة من المشاكل التي تقابله في حياته اليومية، وهي بالتالي تحدد التصرف الفردي والجماعي في اطار ثقافي محدد، وبخطة يحملها الفرد معه، وبها يحدد مسيرته في حياته العامة.

9. **تراكمية :** وهذا يعني ان الثقافة ذات طابع تاريخي تراكمي عبر الزمن، فهي تنتقل من جيل الى الجيل الذي يليه، بحيث يبدأ الجيل التالي من حيث انتهى الجيل الذي قبله، وهذا يساعد على ظهور انساق وانماط ثقافية جديدة (الفزوي وآخرون، 1992) .

وظائف الثقافة

الانسان يكيف الطبيعة ويتكيف معها ، يغيرها ويتغير معها ، وهذا يعني ان الثقافة هي اداته في عملية التواصل والتكيف في الحياة، ومن اهم وظائف الثقافة :

1 . تمد الافراد بمجموعة من الانماط السلوكية لتحقيق حاجاتهم البيولوجية وضمان استقرارهم .

2 . تتيح للافراد التعاون من خلال مجموعة من القوانين والنظم .

3 . تساعد الافراد على تحقيق التكيف والتفاعل وتحقق لهم الوحدة الثقافية والتجانس.

4 . تؤدي الى ظهور حاجات جديدة وتبث وسائل اشباع هذه الاحتياجات كالاهتمامات الثقافية والجمالية والدينية .

5 . تمكن الانسان من التنبؤ بالاحداث المتوقعة والمواقف الاجتماعية المحتملة ، ومن التنبؤ بسلوك الآخرين في مواقف محددة (الراشدان ، 1985) .

ويقول مالينوفسكي في هذا الصدد ، ان الثقافة تلبي نظاماً متكاملاً من الاحتياجات الانسانية البيولوجية والروحية ، وتضمن له غطاء وظيفياً يسعى الى حماية الانسان من المخاطر والكوارث الطبيعية والبيئية . والثقافة هي اداة الانسان في حل مشكلاته الحية والخاصة التي يواجهها في اطار البيئة وبالتالي فإن لكل عنصر من عناصرها غاية ووظيفة محددة (زحلوق ووطفة ، 1995) .

TULIP LAIBRARY

التغير الثقافي

مقدمة

التغير حقيقة موجود، فضلاً عن انه ظاهرة عامة وخاصية اساسية تتميز بها نشاطات ووقائع الحياة الاجتماعية، بل انه ضرورة حيوية لكافة المجتمعات البشرية، فهو سبيل بقائها ونموها، فبالتغير تستطيع التكيف مع واقعها، وبالتغير يتحقق التوازن والاستقرار في ابنيتها وانشطتها، وعن طريق التغير تتمكن الجماعات من مواجهة متطلبات افرادها وحاجاتهم المتجددة (الخشاب، 1971).

والتغير هو معيار حقيقة الوجود وطاقته، ذلك ان التغير موجود في كل مكان. والقوانين التي يعنى بها رجال العلم قوانين حركة وتوالد وتتال. وترمي جهود هؤلاء العلماء الى معرفة ما بين التغيرات من ترابط وعلاقات والكشف عن مصادر التغير، ووسائل توجيهه، وقوانين تنظيمه وضبطه، لادراكهم ان أي تغير يحدث في أي جانب من جوانب الحياة، يتطلب حدوث تغيرات في الجوانب الأخرى، ذلك ان الباحث لم يعد يحاول اليوم ان يعرف ويحدد شيئاً ثابتاً وسط التغير الذي يحدث، بل يحاول ان يصف لنا نظاماً متسقاً للتغير المستمر، ويبرز عوامل جديدة، تزيد هذا التغير دفعاً، ويدعو الناس الى التفكير فيه لمواجهته على اساس من التبصر والذكاء (العفيفي،1975).

وقد استرعت ظاهرة التغير انتباه هيراقليطس حيثما اشار الى الحقيقة التي مفادها ان الانسان لا يستطيع ان ينزل الى النهر مرتين ، ويجد الماء نفسه جارياً فيه، اذ ان بنزوله للنهر في المرة الثانية ، لا يجد التيار المائي نفسه، الذي كان فيه عند نزوله في المرة الاولى (الزعبي، 1979، 35).

مفهوم التغير الثقافي Cultural change

يرى كيسنيج (Kessing) ان الثقافة هي : " مجموع السلوك المكتسب الذي يتم تناقله اجتماعيا "، وعلى ذلك فهي تضم العديد من العناصر، ويعد أي تغير يطرأ على أي عنصر من التكوينات المادية والعقلية والاجتماعية تغيراً ثقافياً. وعلى هذا فان التغير الثقافي يعني أي تغير يمكن ان يؤثر في مضمون أو بناء ثقافة معينة، ويعتمد هذا النوع من التغير على الانتشار، أو الاختراع، أو القدرة على الابداع الثقافي. وتعرف الطريقة التي يتم بها التغير الثقافي باسم العملية الثقافية.

TULIP LAIBRARY

اما ملينوفسكي، فيعرف التغير الثقافي " بأنه العملية التي يتحول بمقتضاها وبدرجة متفاوتة من السرعة، النظام القائم في المجتمع وتنظيمه ومعتقداته ومعارفه، وادوات العمل فيه واهداف المستهلكين " ويتضمن التغير الثقافي مجموعة من المفاهيم التي تدل عليه، ومنها التثاقف، والتفكك، والانحراف، والتطور، والتغير التدريجي، والابتداع، والتكامل، والنقل، واعادة الاحياء، واعادة التفسير، وما الى ذلك، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على ان التغير في حقيقته ظاهرة ثقافية عامة، تشكل عملياته عبر الزمن ديناميات الثقافة (الخريجي، 1983).

التغير الاجتماعي والتغير الثقافي Cultural & Social Change

يعني التغير الاختلاف، ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة، أو اختلاف الشيء عما كان عليه في خلال فترة محددة من الزمن، وحينما تضاف كلمة الاجتماعي، فهي تعني ما يتعلق بالمجتمع في الوظائف والقيم والادوار الاجتماعية خلال فترة محددة من الزمن، وقد يكون هذا التغير ايجابياً أي تقدماً، وقد يكون سلبياً أي تخلفاً، أي انه لا يوجد اتجاه محدد للتغير (الدقس، 1987).

اما التغير في المهام الخاصة بالاجهزة الاجتماعية، فيشير الى تلك التغيرات الخاصة بوظائف العناصر المكونة لهذه الاجهزة مثل دور العبادة والاسرة والتعليم والصحة والمؤسسات السياسية والاقتصادية والقانونية والاعلامية وغيرها، وعليه فالتغير الاجتماعي، هو ذلك التحول الذي يقع في البناء الاجتماعي من حيث القيم والمعايير والانتاج الثقافي المعنوي والمادي (جامع، 1972).

وتجدر الاشارة الى ان التغير الثقافي اعم واشمل من التغير الاجتماعي الذي يشير الى التحولات على النظم الاجتماعية والوظائف التي تقوم بها، وتزداد الصورة وضوحاً في عملية التغير الثقافي عندما نعرف مكونات الثقافة، فهي كما يرى " تايلور " في تعريفه التقليدي لها، تعني ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق، والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الانسان من

حيث هو عضو في مجتمع (ابو زيد، 1966).

وعلى ذلك يعد التغير الاجتماعي جزءاً من التغير الثقافي أو جانباً منه فحسب (حسن، 1969).

TULIP LAIBRARY

التباين الثقافي Cultural Differentiation

ان دراسة الثقافة، مهما كان تعريفها، تبرز بذاتها حقيقة تفردها، فالثقافات بهذا التصور تتنوع بتنوع الامم، الجماعات المرقية، الشركات والنوادي، وسائر التجمعات الاخرى بين الناس، التي تفكر بطريقة مختلفة ولو قليلا عن غيرها، وتستخدم رموزاً متباينة، الى حد ما، أو التي تعبر عن معارساتهم وصنائعهم المعتادة عن شيء ما خاص بهم. فالثقافة الفرنسية مختلفة عن الثقافة البريطانية وعن الثقافة الامريكية، وكل من يسعى الى تصنيف الثقافات أو بعبارة اقل طموحا، ان يصوغ تعميمات كلية حول السلوك الانساني، معرض لمجابهة اولئك الذين يتمسكون بالخصوصية الكامنة في المجتمعات والتنظيمات المختلفة.

ولمواجهة ذلك،نوضح انه بالرغم من ان للامم وجماعات الجيرة والقبائل والاجناس، انظمة متميزة من القيم والمعتقدات والعادات، فانه من الممكن حصر قناعاتهم حول الحياة في عدد قليل من التحيزات الثقافية (ثومبسون وآخرون، 1990).

التحدي الثقافي Cultural Challenge

يفترض التحدي وجود طرفين يحاول احدهما ان يلغي وجود وهوية الطرف الأخر، أي أن يلغي هويته الاجتماعية وهويته الثقافية، لأن جوهر التحدي هو النفي. وما دام الامر كذلك، فالتحدي الثقافي يضع الأنا الاجتماعية، ومضمونها الثقافي أو الأنا الثقافية في مواجهة انا الآخر الاجتماعية والثقافية.

ومواقف ، التحدي الثقافي كثيرة منها الحروب القديمة والحديثة سواء اكانت حروباً دينية ام قومية ام اقتصادية، ام حروباً استيطانية.

ولما كانت المجتمعات تتنافس فان التحدي المباشر يكون في مجال الثقافة، وقد تستخدم المجتمعات المعتدية، أو ذات الثقافة السائدة الجانب المادي من ثقافتها مثل ادوات الحرب، وتوظف اقتصادها، ووسائل اعلامها لاخضاع اصحاب الثقافات الأخرى وبذلك تفسح مجالاً للجوانب المعنوية لثقافتها بالسيادة (عثمان وآخرون،1992).

عوامل التغير الثقافي

التغير الثقافي ظاهر اجتماعية، لا تخلو منها اية جماعة بشرية ويرتبط حدوثه بعدد من المتغيرات والعوامل، والتي يعتبر من ابرزها :

TULIP LAIBRARY

1. ديناميات الاجيال Generations Dynamics

يرى بعض الباحثين ان بعض التغير الثقافي يطرأ بفعل ديناميات الجماعات العمرية المختلفة، التي تقوم بدعم وخلق وابتداع اساليب حياة جديدة نتيجة لاتصالها الاحدث دائماً بثقافة المجتمع الغالبة.

ويرى كارل مانهايم (K. Mannheim) ، ان المحدثين تنقصهم الخبرة والتجارب الاجتماعية ومعرفة الاحداث التاريخية وغيرها مما يعيه الافراد الاكبر سناً، وبسبب هذا النقص في الخبرات، يستقبل المحدثون العالم بطرق جديدة، ويبتدعون بدائل ثقافية فريدة، واساليب حياة جديدة، تختلف عن نظائرها في الثقافة السائدة.

2. التعليم Teaching

يعد التعليم من العوامل التي تعجل باحداث التغير الثقافي، وذلك بما تتضمنه العملية التعليمية من اكساب العقل مهارات فكرية، وتنمية قدراته الابداعية وملكاته الذهنية. علاوة على المواد الدراسية التي تقدم له خبرات الآخرين وتجاربهم، فيكون قادراً على التخلص من السمات والعناصر الثقافية التي تعرقل التقدم، ويدعم السمات والعناصر التي تحفز النهوض والازدهار. وقد ادى التعليم ولا زال الى تغير ثقافي واضح القسمات في مجتمعات العالم بأسره.

3. التكنلوجيا Technolgogy

تلعب التكنلوجيا دوراً بارزاً في احداث التغير الثقافي بما تسهم به من وسائل لتيسير الاتصال بين المجتمعات ، وتخطي الحواجز التقليدية وغيرها، فقد ساعدت التكنلوجيا في معظم مجتمعات العالم، على القضاء على ظاهرة العزلة الثقافية، وصار العالم كله قرية صغيرة، كما دخلت التكنلوجيا في مجال التعليم، والطب، والزراعة، والصناعة، والاعلام، والترويج، والمعتقدات، والحياة المنزلية بكافة جوانبها.

4. وسائل الاعلام Media

من الملاحظ في حياتنا المعاصرة، ان دور وسائل الاعلام بدأ يتعاظم، مما ترتب على ذلك جوانب نلمسها ونلمس آثارها في مجال العمل، والبيت، والشارع، ومكان الترويح. وفي ضوء تعاظم هذا الدور، يذهب البعض الى ان التغير الثقافي ما هو الا

TULIP LAIBRARY

ثمرة من ثمرات وسائل الاعلام، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على خطورة الدور الذي تلعبه هذه الوسائل بمختلف انواعها.

5. الانفتاح على العالم Openness

سبق الاشارة الى ان العزلة لم يعد لها وجود في مجتمعات اليوم. حيث عززت وسائل الاعلام والاتصال الافراد بمختلف مستوياتهم في عقر دارهم. ولم يعد هناك من يستطيع الخلاص من احبالها، أو يقدر على الفكاك منها ومن صور الانفتاح الهجرة المؤقتة الى المدن المجاورة، أو المدن البعيدة، أو الدول المجاورة او الدول البعيدة. كل ذلك يترتب عليه التعرف على عناصر ثقافية جديدة، ونظرات وخبرات جديدة، وطرائق حياتية تخالف ما ألفوه في مجتمعاتهم التي نشأوا فيها.

معوقات التغير الثقافي

يمكن النظر الى كل مجتمع على انه عرضة لنوعين من القوى، قوى تعزز حدوث التغير، وقوى تعرقله وتحد من فاعليته، اما ابرز الحواجز التي تعيق التغير الثقافي فيمكن ايجازها على النحو التالي :

1. نوعية التراث وطبيعته

تضفي بعض الثقافات اهمية كبرى على قيمة الابتكار والتغير، ولذلك فهي ترى في الشيء الجديد مبرراً كافياً لفحصه وتطبيقه. ويمارس التراث في مجتمعات اخرى سطوة كبيرة على الاخذ بالجديد واحداث التغيير. وتلعب الأمثال الشعبية دوراً بارزاً في التثبيت الاثنوجرافي، وبالتالي في الحيلولة دون حدوث التغير الثقافي السريع (الخريجي، 1983).

2. التواكل

ترتبط اتجاهات التواكل ارتباطاً وثيقاً بقوى التراث السائدة. ففي المجتمعات غير الصناعية على سبيل المثال، التي لم تحقق السيطرة الكاملة على قوى الطبيعة، ينسب الجفاف والفيضان الى القوة فوق الطبيعية التي تزود الانسان سواء كانت آلهة أو ارواحا شريرة (Foster , 1973)

3. معايير التواضع السائدة

غالبا ما توجد عوائق تعرقل التغير الثقافي الموجه ويقصد بهذا النوع من

العوائق العلاقة بين الرجل والمرأة، وتظهر هذه العلاقة واضحة في حملات الصحة العامة بين الطبيب والنسوة، التي كانت تهدف الى الاهتمام بالحوامل للتقليل من معدل وفيات الاطفال، والملاحظ في بعض البلاد النامية ، ان المرأة الحامل كانت تفضل تجنب الرعاية الطبية خشية ان يفحصها الطبيب، ولذلك كان الزوج هو حلقة الاتصال بين الطرفين.

4. تضارب السمات الثقافية

من المعروف ان هناك عناصر ثقافية يسود بينها الانسجام المنطقي، في حين توجد اخرى تنطوي على تضارب بين بعضها البعض، ويؤدي هذا التضارب وعدم الاتساق الى الحيلولة دون حدوث التغير الثقافي. ففي المجتمعات التقليدية اذا مرض شخص له مركز اجتماعي مرموق وهيبة كبيرة، وكان مستقيماً، قيل بأن المرض ابتلاء من الله. وان الابتلاء لا يكون الا للصالحين، واذا مرض شخص مشاكس لا يحظى بالهيبة الاجتماعية، قيل ان مرضه عقاب صارم انزله الله تعالى به، وهنا نلاحظ التضارب في تفسير المرض نفسه في نفس المجتمع.

5. النتائج غير المتوقعة للتجديد

لا يمكن ان يحدث تغير في حالة منعزلة وبلا نتائج اولية أو ثانوية، على نطاق واسع في المجتمع المتغير، انه هنا مثل حجر نلقيه في الماء فيحدث حلقات آخذة في الاتساع الى ان يفقد تأثيره قوة الدفع، كذلك الحال بالنسبة للتجديد، حيث يترتب عليه تأثيرات دائرية في الثقافة، تظل تتسع استدارتها الى ان ينتهي مفعوله في المناطق التي تبعد عن مرمى هذا التأثير، ورغم ان التغيرات الثقافية تنطوي على اهمية كبيرة وفائدة اجتماعية، الا انها تكون مصحوبة احياناً بنتائج غير مرغوبة من قبل اعضاء المجتمع نفسه.

6. المعتقدات الشعبية

توجد صور عديدة من هذه المعتقدات التي تعرقل التغير على وجه العموم، ففي زامبيا على سبيل المثال، حالت المعتقدات هناك دون حدوث تغير يذكر في المجال الصحي والتعليم الغذائي، بسبب احجام المرأة عن تناول البيض لاعتقادها بأنه يقلل من الخصوبة (الخريجي، 1983).